رجاء بن حيوة

رجاء بن حيوة

كثير من الفقهاء والعلماء الذين صحبوا الخلفاء وعاشوا في ركابهم ولكن ما أقل من حافظ على دينه ولم يبع دينه بدنياه، وما أكثر العلماء الذين دخلوا على السلطان وما أقل من نصح لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، كان من هؤلاء القلة الفقيه الزاهد رجاء بن حيوة الذي يدين له التاريخ بالفضل لمشورته على الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك باستخلاف عمر بن عبد العزيز، وبتدبير وتخطيط ذهاب الخلافة لعمر بن عبد العزيز على الرغم من المعارضة الشديدة من جانب أمراء البيت الأموي.

رجاء بن حيوة: أبو نصر الكندي، والإمام القدوة، الوزير العادل، الفقيه، من جلة التابعين، حدث عن معاذ بن جبل وأبي الدرداء، وعبادة بن الصامت وطائفة.

قال عنه مسلمة بن عبد الملك أمير السرايا: برجاء بن حيوة وبأمثاله ننصر. وهو من العلماء الذين كان لهم قرب وحظوة عند خلفاء بني أمية قال عنه صاحب الحلية: مشير الخلفاء والأمراء، وقد بدأ اتصاله بهم منذ عهد عبد الملك وقد بلغت مشاركة رجاء وتأثيره السياسي في عهد سليمان بن عبد الملك الذروة، فقد اتخذه سليمان وزير صدق له يستشيره في كثير من الأمور والقضايا المتعلقة بسياسة الدولة وإدارتها فقال عنه سعيد بن صفوان: وكانت له من الخاصة والمنزلة عند سليمان بن عبد الملك ما ليس لأحد يثق به ويستريح إليه، وقد كان رجاء ملازماً لسليمان بن عبد الملك حتى في سفره بدليل أنه كان مع سليمان حين خرج إلى دابق، وكان يخلو معه في مجلسه وأشرف بنفسه على تمريضه حتى مات، على أن أكبر تأثير سياسي لرجاء في عهد سليمان يظهر في إشارته عليه باستخلاف

عمر بن عبد العزيز من بعده والتخطيط الدقيق لتنفيذ ذلك بحكمة وحنكة، وسيأتي الحديث عن ذلك في محله بإذن الله لقد كان لموقف رجاء في استخلاف عمر أثر سياسي كبير غير مجرى التاريخ الأموي بصفة خاصة والإسلامي بصفة عامة وفي عهد عمر بن عبد العزيز ظل رجاء يتبوأ مكانة كبيرة ومنزلة عالية من خلال قربه من عمر وملازمته له، حيث جعله عمر من خواصه وسماره يستشيره ويستنصحه في أمور العامة والخاصة، وبعد وفاة عمر بن عبد العزيز أقبل على شأنه وترك القرب من الخلفاء وذلك حين رأى أنه لم يعد لقربه من الخليفة ما كان يهدف إليه من تحقيق المصالح وبذل الخير لعامة الأمة[1].

يقول أبو الحسن الندوي على موقف رجاء بن حيوة من تولية عمر بن عبد العزيز الخلافة الأموية: وكان لرجاء مأثرة لا ينساها الإسلام، ولا أعرف رجلاً من ندماء الملوك ورجالهم انتفع بقربه ومنزلته عند الملوك مثل انتفاعه، وانتهز الفرصة مثل انتهازه وأسدى للإسلام خدمة مثله، فرحم الله رجاء بن حيوة فقد رسم منهجاً لمن يجلس مع الملوك من العلماء كيف يعز الإسلام ويذكر الخلفاء بالله وينتهز الفرص المناسبة لخدمة دين الله [2].

وقد كان رجاء له مكانة كبيرة لدى الخلفاء سليمان بن عبد الملك ومن بعده عمر بن عبد العزيز، ولكن تراجعت مكانته في عصر من جاء بعدهما من الخلفاء. فلما مات عمر بن عبد العزيز انقطع عن صحبتهم. فسأله يزيد ابن عبد الملك أن يصحبه فأبى واستعفاه. فقيل له: نخاف عليك من هؤلاء. فقال: يكفينهم الذي تركتهم له.

وقد أثني عليه العلماء والفقهاء وذكروه بالخير فقد قال ابن سعد عنه

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 557/4، 561، أبو نعيم، الحلية 170/5، أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية ص146.
(2) الندوي، رجال الفكر والدعوة، 40/1.

أنه كان ثقة، عالمًا، فاضلاً، كثير العلم.

وقال النسائي وغيره: ثقة.

و قال مطر الوراق: ما رأيت شاميًا أفضل من رجاء بن حيوة.

وقال ضمرة: ما من رجل من أهل الشام أحب إلي أن أقتدي به من رجاء ابن حيوة.

و كان يزيد بن عبد الملك بن مروان قد أجري عطاء من بيت مال المسلمين على رجاء بن حيوة ثلاثين دينارًا في كل شهر، فلما ولي هشام الخلافة غير ذلك وقال: ما هذا برأي. فقطعها، فرأى هشام أباه في النوم، فعاتبه في ذلك، فأجراها.

ولعل السبب وراء ذلك موقف رجاء من صرف الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز وتمكينه منها على خلاف رغبة البيت الأموي.

وظل رجاء على ثباته من النصح لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولعامة الناس وخاصتهم حتى توفاه الله سنة اثنتي عشرة ومائة [1].

مواقف من حياته:

هذا زمانك:

عن عوانة بن الحك، قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد الشعراء إليه فأقاموا ببابه أياماً لا يؤذن لهم، الرحيل، إذ مر بهم رجاء بن

(1) طبقات ابن سعد 7 / 454، طبقات خليفة ت 2924، تاريخ البخاري 3 / 312، المعارف 472، المعرفة والتاريخ 2 / 329 و 368، الجرح والتعديل القسم الثاني من المجلد الأول 501، الحلية 5 / 170، طبقات الفقهاء للشيرازي 75، تاريخ ابن عساكر 6 / 116، تهذيب الأسماء واللغات القسم الأول من الجزء الأول 190، وفيات الأعيان 2 / 301، تهذيب الكمال 411، تاريخ الإسلام 4 / 249، تذكرة الحفاظ 1 / 111، العبر 1 / 138، تذهيب التهذيب 1 / 223، البداية والنهاية 9 / 304 تهذيب التهذيب 3 / 265، النجوم الزاهرة 1 / 271، طبقات الحفاظ للسيوطي ص 45، خلاصة تذهيب التهذيب 117، شذرات الذهب 1 / 145، تهذيب ابن عساكر 5 / 315.

حيوة. وكان من خطباء أهل الشام فلما رآه جرير داخلاً على عمر أنشأ يقول:

يا أيها الرجل المرخي عمامته ::: هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

قال: فدخل ولم يذكر من أمرهم شيئاً، ثم مر بهم عدي بن أرطأة، فقال له جرير:

يا أيها الراكب المزجي مطيته ::: هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه ::: أني لدى الباب كالمصفود في قرن
لا تنس حاجتنا لقيت مغفرةً ::: قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

قال: فدخل عدي على عمر، فقال: يا أمير المؤمنين! الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة، قال: ويحك يا عدي! ما لي وللشعر، قال: أعز الله أمير المؤمنين، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح فأعطى، ولك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فقال: كيف؟ قال: امتدحه العباس بن مرداس السلمي فأعطاه حلة قطع بها لسانه، قال: أو تروي من قوله شيئاً؟ قال: نعم، وأنشد:

رأيتك يا خير البرية كلها ::: نشرت كتابًا جاء بالحق معلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا ::: عن الحق لما أصبح الحق مظلما
ونورت بالبرهان أمراً مدنساً ::: وأطفأت بالبرهان ناراً تضرما
فمن مبلغ عني النبي محمداً ::: وكل امرئ يجزى بما كان قدما
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه ::: وكان قديماً ركنه قد تهدما
تعالى علواً فوق عرش إلهنا ::: وكان مكان الله أعلى وأعظما

قال ويحك يا عدي! من بالباب منهم؟ قال: عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، قال: أليس هو الذي يقول:

ثم نبهتها فهبت كعاباً ::: طفلة ما تبين رجع الكلامِ
ساعة ثم إنها بعد قالت ::: ويلتا قد عجلت يا ابن الكرامِ
أعلى غير موعدٍ جئت تسري ::: تتخطى إلى روس النيامِ

ما تجشمت ما يزين مـــن الأمـــــ ::: رِ ولا جئـــت طارقـــاً لخصـــامِ

فلو كان عدو الله إذ فجر كتم نفسه، لا يدخل علي والله أبداً، فمن بالباب سواه؟ قال: همام بن غالب، يعني الفرزدق، قال: أوليس هو الذي يقول:

هما دلتـــاني مـــن ثمـــانين قامـــةً ::: كما انقض بازٍ أقتم الريش كاسرُهُ

فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا ::: أحـــي يرجـــى أم قتيـــل نحـــاذره

لا يطأ والله بساطي، فمن سواه بالباب منهم؟ قال: الأخطل، قال: أدي! هو الذي يقول:

ولست بصـــائم رمضـــان طوعـــاً ::: ولسب بآكـــل لحـــم الأضـــاحي

ولســـت بزاجـــر عنســـاً بكـــور ::: إلى بطحـــاء مكـــة للنجـــاح

ولســـت بقـــائم كـــالعير يـــدعو ::: قبيل الصبح حي علـــى الفـــلاح

ولكـــــني سأشـــــربها شمـــــولاً ::: وأسجد عنـــد منـــبلج الصـــباح

والله لا يدخل علي وهو وكافر أبداً، فهل بالباب سوى من ذكرت؟ قال: نعم الأحوص، قال: أليس هو الذي يقول:

الله بـــــيني وبـــــين ســـــيدها ::: يفـــــر مـــــني بهـــــا وأتبعـــــه

غرب عنه، فما هو بدون من ذكرت، فمن هاهنا أيضاً؟ قال: جميل بن معمر قال: يا عدي هو الذي يقول:

ألا ليتنا نحيـــا جميعـــاً وإن تمـــت ::: يوافق في موتي ضـــريحي ضـــريحها

فما أنا في طول الحيـــاة براغـــبٍ ::: إذا قيل قد سوي عليها صـــفيحها

فلو كان عدو الله تمنى لقائها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحاً، والله لا يدخل علي أبداً، هل سوى من ذكرت أحد؟ قال: جرير بن عطية، قال: أما إنه الذي يقول:

طرقتك صائدة القلوب ولـــيس ذا ::: حين الزيـــارة فـــارجعي بســـلامِ

فإن كان لا بد فهو، قال فأذن لجرير، فدخل وهو يقول:

إن الـــذي بعـــث الـــنبي محمـــداً ::: جعل الخلافة في الإمـــام العـــادلِ

وسع الخلائــق عدلــه ووفــاؤه ::: حتى ارعوى وأقــام ميــل المائــلِ
إني لأرجو منــك خــيراً عــاجلاً ::: والنفس مولعــة بحــب العاجــلِ

فلما مثل بين يديه قال: ويحك يا جرير، اتق الله ولا تقولن إلا حقاً، فأنشأ جرير يقول:

أأذكر الجهد والبلوى التي نزلــت ::: أم قد كفاني ما بلغت من خــبري
كم باليمامة مــن شــعثاء أرملــةٍ ::: ومن يتيم ضعيف الصوت والنظــر
ممن يعدّك تكفــي فقــد والــده ::: كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعة ملــهوفٍ كــأن بــه ::: خبلاً من الجن أو مساً من النشــرِ
خليفــة الله مــاذا تــأمرون بنــا ::: لسنا إلــيكم ولا في دار منتظــر
ما زلت بعــدك في هــم يــؤرقني ::: قد طال في الحي إصعادي ومنحدري
لا ينفع الحاضــر المجهــود باديــنا ::: ولا يعود لنا بــادٍ علــى حضــر
إنا لنرجو إذا ما الغيــث أخلفنــا ::: من الخليفة ما نرجو مــن المطــر
نال الخلافة إذ كانت لــه قــدراً ::: كما أتى ربه موسى علــى قــدر
هذي الأرامل قد قضيت حاجتــها ::: فمن لحاجةٍ هذا الأرمــل الــذكر
الخير ما دمــت حيــاً لا يفارقنــا ::: بوركت يا عمر الخيرات من عمــرِ

فقال: يا جرير! ما أرى لك هاهنا حقاً، فقال: بلى يا أمير المؤمنين، أنا ابن سبيل ومنقطع بي، فأعطاه من صلب ماله مائة درهم، وقد ذكر أنه قال له: ويحك يا جرير! لقد ولينا هذا الأمر وما نملك إلا ثلثمائة درهم، فمائة أخذها عبد الله ومائة أخذتها أم عبد الله، يا غلام أعطه المائة الباقية، قال: فأخذها وقال: والله لهي أحب مما اكتسبته إلي، قال: ثم خرج فقال له الشعراء: ما وراءك؟ قال: ما يسوءكم، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء، وإني لراض، وأنشأ يقول:

رأيت رقي الشــيطان لا تســتفزه ::: وقد كان شيطاني من الجن راقيــا[1]

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 1 / 24 - 25.

إنك قد ابتليت بهذا وابتلي بك:

عن رجاء بن حيوة، قال: كنت واقفًا على باب سليمان إذ أتاني آت لم أره قبل ولا بعد، فقال: يا رجاء، إنك قد ابتليت بهذا وابتلي بك، وفي قربه الوتغ [1] فعليك بالمعروف وعون الضعيف، يا رجاء، من كانت له منزلة من سلطان، فرفع حاجة ضعيف لا يستطيع رفعها، لقي الله وقد شد قدميه للحساب بين يديه. واعلم يا رجاء أنه من كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته واعلم يا رجاء أن من أحب الأعمال إلى الله فرحًا أدخلته على مسلم ثم فقده فكان يرى أنه الخضر عليه السلام.

فأنا نكره أن نسمع الخير إلا من أهله:

وروى ضمرة، عن إبراهيم بن أبي عبلة، قال: كنا نجلس إلى عطاء الخراساني، فكان يدعو بعد الصبح بدعوات، فغاب فتكلم رجل من المؤذنين، فأنكر رجاء بن حيوة صوته، فقال: من هذا؟ قال: أنا يا أبا المقدام. قال: اسكت ؛ فإنا نكره أن نسمع الخير إلا من أهله.

احذروا صاحب الكساء:

قال صفوان بن صالح: حدثنا عبد الله بن كثير الدمشقي القارئ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: كنا مع رجاء بن حيوة، فتذاكرنا شكر النعم، فقال: ما أحد يقوم بشكر نعمة، وخلفنا رجل على رأسه كساء، فقال: ولا أمير المؤمنين؟ فقلنا: وما ذكر أمير المؤمنين هنا! وإنما هو رجل من الناس. قال: فغفلنا عنه، فالتفت رجاء فلم يره، فقال: أتيتم من صاحب الكساء، فإن دعيتم فاستحلفتم فاحلفوا. قال: فما شعرنا إلا بالخليفة ومعه الحرس قد أقبل ووقف على رجاء ومن معه فقال: هيه يا رجاء، يذكر أمير المؤمنين، فلا تحتج له؟! قال: فقلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: ذكرتم شكر النعم، فقلتم: ما أحد يقوم بشكر نعمة، قيل لكم: ولا أمير

(1)) الوتغ: الهلاك.

المؤمنين، فقلت: أمير المؤمنين رجل من الناس! فقلت: لم يكن ذلك. قال: آلله؟ قلت: آلله.

قال: فأمر بذلك الرجل الساعي، فضرب سبعين سوطًا، فخرجت وهو متلوث بدمه فقال: هذا وأنت رجاء بن حيوة. قلت: سبعين سوطًا في ظهرك خير من دم مؤمن. قال ابن جابر: فكان رجاء بن حيوة بعد ذلك إذا جلس في مجلس يقول ويتلفت: احذروا صاحب الكساء.

إن أولئك الذين تريد قد ذهبوا:

عن رجاء بن أبي سلمة قال قدم يزيد بن عبدالملك بيت المقدس فسأل رجاء بن حيوة أن يصحبه فأبى واستعفاه فقال له عقبة بن وساج: إن الله ينفع بمكانك فقال: إن أولئك الذين تريد قد ذهبوا فقال له عقبة: إن هؤلاء القوم قل ما باعدهم رجل بعد مقاربةإلا ركبوه قال: إني أرجو أن يكفيهم الذي أدعهم له.

لأني نظرت للعامة ولم أنظر له:

عَن المعلى بْن روبة؛ قال: قَالَ لي رجاء بْن حيوة: ولي الأمير اليوم عَبْد اللهِ بْن موهب القضاء، ولو اخترت بين أن أحمل إلى حفرتي وبين ما ولي ابن موهب لاخترت أن أحمل إلى حفرتي؛ فقلت له: فإن الناس يتحدثون أنك أنت أشرت به؛ قال:صدقوا لأني نظرت للعامة ولم أنظر له [1].

استخلاف عمر بن عبد العزيز:

عن عبد الرحمن بن حسان الكناني قال: لما مرض سليمان بدابق قال لرجاء بن حيوة: من لهذا الأمر بعدي، أستخلف ابني قال: ابنك غائب، قال: فابني الآخر، قال: صغير، قال: فمن ترى قال: أرى أن تستخلف عمر

(1) أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ صَدَقَةَ الضَّبِّيّ البَغْدَادِيّ، أخبار القضاة، حققه وصححه و علق عليه و خرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، نشر المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى عام 1366هـ - 1947م، 1 / 24.

بن عبد العزيز، قال: أتخوف إخوتي لا يرضون، قال: فول عمر، ومن بعده يزيد ابن عبد الملك، وتكتب كتاباً وتختم عليه وتدعوهم إلى بيعته مختوماً، قال: لقد رأيت ائتني بقرطاس، فدعا بقرطاس، فكتب فيه العهد، ودفعه إلى رجاء، وقال: اخرج إلى الناس فليبايعوا على ما فيه مختوماً، فخرج، فقال: إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هذا الكتاب، قالوا: ومن فيه قال: هو مختوم لا تخبرون بمن فيه حتى يموت. قالوا: لا نبايع. فرجع إليه فأخبره، فقال: انطلق إلى صاحب الشرطة والحرس، فاجمع الناس ومرهم بالبيعة، فمن أبى فاضرب عنقه، قال: فبايعوه على ما فيه. قال رجاء بن حيوة: فبينا أنا راجع إذ سمعت جلبة موكب، فإذا هشام، فقال لي: يا رجاء قد علمت موقعك منا، وإن أمير المؤمنين صنع شيئاً ما أدري ما هو، وأنا أتخوف أن يكون قد أزالها عني، فإن يكن قد عدلها عني فأعلمني ما دام في الأمر نفس حتى ينظر، فقلت: سبحان الله، يستكتمني أمير المؤمنين أمراً أطلعك عليه، لا يكون ذا أبداً، قال: فأدارني ولاحاني، فأبيت عليه، فانصرف، فبينا أنا أسير إذ سمعت جلبة خلفي، فإذا عمر بن عبد العزيز وقال لي: يا رجاء إنه قد وقع في نفسي أمر كبير من هذا الرجل، أتخوف أن يكون قد جعلها إلي ولست أقوم بهذا الشأن، فأعلمني ما دام في الأمر نفس لعلي أتخلص منه ما دام حياً، قلت: سبحان الله يستكتمني أمير المؤمنين أمراً أطلعك عليه، قال: وثقل سليمان، فلما مات أجلسته مجلسه وأسندته وهيأته وخرجت إلى الناس، فقالوا: كيف أصبح أمير المؤمنين قلت: أصبح ساكناً، وقد أحب أن تسلموا عليه وتبايعوا بين يديه على ما في الكتاب، فدخلوا وأنا قائم عنده، فلما دنوا قلت: إنه يأمركم بالوقوف، ثم أخذت الكتاب من عنده وتقدمت إليهم وقلت: إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا على ما في هذا الكتاب، فبايعوا وبسطوا أيديهم. فلما بايعتهم وفرغت قلت: آجركم الله في أمير المؤمنين، قالوا: فمن ففتحت الكتاب فإذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز، فتغيرت وجوه بني عبد

الملك، فلما سمعوا: وبعده يزيد بن عبد الملك كأنهم تراجعوا فقالوا: أين عمر، فطلبوه فإذا هو في المسجد، فأتوه فسلموا عليه بالخلافة، فعقر به فلم يستطع النهوض حتى أخذوا بضبعيه، فدنوا به إلى المنبر وأصعدوه، فجلس طويلاً لا يتكلم، فقال رجاء: ألا تقومون إلى أمير المؤمنين فتبايعونه، فنهض القوم إليه فبايعوه رجلٌ رجلٌ ومد يده إليهم.

قال: فصعد إليه هشام بن عبد الملك، فلما مد يده إليه قال: يقول هشام إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون، حين صار يلي هذا الأمر أنا وأنت. ثم قام: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إني لست بفارض ولكني منفذ، ولست بمبتدع ولكني متبع، وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن هم أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم، وإن هم أبوا فلست لكم بوالٍ. ثم نزل فأتاه صاحب المراكب فقال: ما هذا؟ قال: مركب الخليفة. قال: لا حاجة لي فيه، ائتوني بدابتي، فأتوه بدابته فانطلق إلى منزله، ثم دعا بدواة فكتب بيده إلى عمال الأمصار. قال رجاء: كنت أظن أنه سيضعف، فلما رأيت صنعه في الكتاب علمت أنه سيقوى. وقال عمرو بن مهاجر: صلى عمر بن عبد العزيز المغرب، ثم صلى على جنازة سليمان بن عبد الملك [1].

لأطلبن بها شرف الآخرة:

وقال سعيد بن صفوان كان بين عبد الملك بن أرطأة ورجاء بن حيوة الكندي وبين عمر بن عبد العزيز صداقة وصحبة في نسكهم وعبادتهم وكان رجاء بن حيوة من أهل الأردن وكان من أعبد أهل زمانه وكان مرضيًا حكيمًا ذا أناة ووقار وكانت الخلفاء تعرفه بفضله فيتخذونه وزيرًا ومستشارًا وقيمًا على عمالهم وأولادهم وكانت له من الخاصة والمنزلة عند سليمان بن عبد الملك ما ليس لأحد يثق به ويستريح إليه قال: وولى سليمان عمر على المدينة وكانت لعمر بن عبد العزيز عند سليمان منزلة

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، 7 / 190 - 192.

وناحية وخاصة دون بني مروان فأراد سليمان أن يعلم علم عمر وحاله التي هو عليها فبعث إليه رجاء ابن حيوة ليأتي بخبره وطريقته وحاله في سيرته وطعمته للذي كان يحدث به بنفسه فقدم رجاء بن حيوة على عمر بن عبد العزيز فلم يأل عن إلطافه وإكرامه وتقريبه وأقام عنده أيامًا فكان كلما أصبح دخل على عمر بعد صلاة الصبح فيتحدثان لا يدخل عليهما أحد حتى يخرج رجاء من عنده قال: فبينما رجاء ذات يوم عنده وقد رأي رؤيا فأصبح وقد حفظها قال: فجعل يحدث نفسه وعمر يحدثه فأنكره عمر فقال: يا أبا المقدام إني لأنكر بعض حالك اليوم فما شأنك قال: إن الذي ترى وإنكارك إياي لرؤيا رأيتها الليلة فأنا أعجب وأحدث بها نفسي فقال عمر: اقصصها رحمك الله فقال: نعم وإن لك فيها نصيبًا رأيت الليلة كأن أبواب السماء فتحت فبينا أنا أرمقها إذ أقبل ملكان يهويان معهما سرير لم أر مثله حسنا حتى وضعاه بالمدينة ثم صعدا وأنا أنظر إليهما حتى دخلا أبواب السماء فلبثا مليًا ثم أقبلا ومعهما ثياب بيض لم أر مثلها وشممت عبق مسك لم أشم مثله قط فمهداها على ذلك السرير فدنوت منهما فقلت: ما هذه الثياب؟ قالا: هذا السندس والإستبرق الذي ذكر في القرآن ثم صعدا فلبثا مليًا ثم أقبلا معهما برجل أدعج العينين ذي وفرة شديد سواد الشعر بعيد ما بين المنكبين مربوع الجسم عليه هيبة ووقار حتى أقعداه على ذلك السرير من فوق تلك الفرش فدنوت منها فقلت: من هذا الرجل فقالا: هذا محمد صلى الله عليه وسلم قال: فهبته هيبة شديدة وتأخرت ناكصًا على عقبي حتى كنت منه بمكان منظر ومسمع فبينا أنا كذلك إذ أتي برجل قد نهزه القتير ضرب الجسم حسن اللحم مشدودة يداه على عنقه حتى وقف بين يديه فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يثني عليه فيما كان من فعاله في الإسلام ويقول: أنت صاحبي في الغار وأنت أبو بكر الصديق والأمر ههنا إلى غيري ولست أملك لك من الله شيئا فلم يزل قائما: بين يديه ثم أمر به فأطلق عنه وأجلس عند رأس السرير على الأرض ثم أتي

برجل حسن اللحم نهزه القتير مجموعة يداه إلى عنقه حتى وقف بين يديه فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يثني عليه بفعاله في الإسلام ويقول أما إنك الفاروق الذي أعز الله عز وجل به الدين وأنت صاحب اليهودي والأمر ههنا إلى غيري ولست أملك لك من الله شيئا فلم يزل قائمًا بين يديه مليًا ثم أطلق عنه وأجلس مع أبي بكر فما زال كذلك يؤتى بخليفة خليفة حتى أفضى الأمر إليك فلما سمع عمر ذلك منه ارتاع فاستوى جالسًا ثم قال: يا أبا المقدام فماذا صنع بي؟ قال: أتي بك مجموعة يداك إلى عنقك ثم وقفت بين يديه طويلاً ثم أمر بك فأطلق الغل ثم أجلست مع أبي بكر وعمر بن الخطاب فاشتد عجب عمر بن عبد العزيز لرؤيا رجاء بن حيوة ثم قال: يا أبا المقدام والله لولا ما أثق به من صحبتك وورعك وجدك واجتهادك ووفائك وصدقك لأنبأتك أني لا ألي شيئًا من أمر الخلافة أبدًا ولكني قد سمعت كلامك ورؤياك وما أخلق بي سوف أبتلى بأمر هذه الأمة فوالله لئن ابتليت بذلك وإنها شرف الدنيا لأطلبن بها شرف الآخرة.

وجوهًا كرامًا ليست بوجوه إنس ولا جان:

قال رجاء بن حيوة: دخلت على عمر حين احتضر، فقال: يا رجاء إني أرى وجوهاً كراماً ليست بوجوه إنس ولا جان، وهو يقلب طرفه يميناً ويصعده ويحدره، ثم رفع يديه فقال: اللهم ربي، أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت، فإن عفوت فقد مننت، وإن عذبت فما ظلمت، إلا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك المصطفى، ورسولك المرتضى، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فعليه السلام والرحمة. ثم قضى رحمه الله [1].

ما أحبَّ الله من عفوك عنه:

طلب عبد الملك بن مروان رجلاً فأعجزه ثم ظفر به، فقال رجاء بن

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 / 438، 469.

حيوة: ياأمير المؤمنين! قد صنع الله ما أحببت من ظفرك به، فاصنع ماأحبَّ الله من عفوك عنه [1].

مري السبع فليواسين الثامنة:

قال رجاء بن حيوة: رأيت امرأة تسأل عن دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فأرشدناها إلى الدار فرأت داراً متهشمة فقالت لخياط هناك: استأذن لي على فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز. فقال: ادخلي وصوتي لها فإنها تأذن لك. فدخلت فلما أبصرت ما هنالك قالت: جئت أرم فقري من بيت الفقراء وإذا رجل يعمل في الطين وهناك امرأة فسألتها عن أمير المؤمنين فقالت: هو ذاك يعمل في الطين. فقالت له: يا أمير المؤمنين، مات زوجي وترك لي ثماني بنات! فبكى عمر بكاء شديداً ثم قال لها: ما تريدين؟ قالت: تفرض لهن. فقال: نفرض للكبرى ما اسمها؟ قالت: فلانة. فكتبها فقالت: الحمد لله. قال: وما اسم الثانية؟ قالت: فلانة. فكتبها فقالت: الحمد لله حتى كتب السابعة، فقالت: جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين! فطرح القلم من يده وقال لها: لو أنك وليت الحمد أهله لأتممناهن لك مري السبع فليواسين الثامنة [2].

الخير سريع الذهاب:

وسأل عمر بن عبد العزيز رجاء بن حيوة عن حال رعيته مع العمال فقال: رأيت الظالم مقهوراً والمظلوم منصوراً والغني موفوراً والفقير مبروراً فقال: الحمد لله الذي وهب لي من العدل ما تطمئن إليه قلوب رعيتي وتعرض له متظلم في بعض الطرق فوقف له وأزال شكايته فقيل له: هلا صرت حتى يستقر بك المنزل؟ فقال: الخير سريع الذهاب وخشيت أن أفوته بنفسي وإنما هي فرصة قدمت فيها العزم واستصحبت الحزم [3].

(1) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ص 80.
(2) الطرطوشي، سراج الملوك، 1 / 110.
(3) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ص 18.

أفضها يا أمير المؤمنين:

وقال سليمان عند موت ابن له لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة: إي لأجد في كبدي جمرة لا يطفئها إلا عبرة، فقال: عمرك اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر. فنظر إلى رجاء بن حيوة كالمستريح إلى مشورته فقال رجاء: أفضها يا أمير المؤمنين فما بذاك من بأس، فقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم وقال: العين تدمع، والقلب يوجع، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون. فأرسل سليمان عينه فبكى حتى قضى أرباً ثم أقبل عليهما وقال: لو لم أنزف هذه العبرة لا تصدعت كبدي، ثم لم يبك بعدها [1].

السخي لا تؤدبه التجارب:

عن محمد بن إدريس الشافعي أن رجاء بن حيوة عاتب ابن شهاب في الإسراف وكان يدان فقال: لا آمن أن يحبس هؤلاء القوم أيديهم عنك فتكون قد حملت على أمانيك؛ قال: فوعده أن يقتصد، فمر به بعد ذلك وقد وضع الطعام ونصب موائد العسل فوقف به رجاء فقال: يا أبا بكر هذا الذي افترقنا عليه؟! فقال له ابن شهاب: انزل فإن السخي لا تؤدبه التجارب[2].

من كلامه رحمه الله:

ويروى عن رجاء بن حيوة، قال: من لم يؤاخ إلا من لا عيب فيه قل صديقه، ومن لم يرض من صديقه إلا بالإخلاص له دام سخطه، ومن عاتب إخوانه على كل ذنب كثر عدوه.

عن عبد الرحمن بن عبدالله أن رجاء بن حيوة الكندي قال لعدي ابن عدي ولمعن بن المنذر يومًا وهو يعظهما انظرا الأمر الذي تحبان أن تلقيا الله عليه فخذا فيه الساعة وانظرا الأمر الذي تكرهان أن تلقيا الله عليه

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1 / 488.
(2) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، 2 / 221.

فدعاه الساعة

عن رجاء قال: الحلم أرفع من العقل لأن الله تسمى به

عن رجاء بن حيوة قال: ما أكثر عبد ذكر الموت إلا ترك الحسد والفرح

عن رجاء بن حيوة قال: ما أحسن الإسلام يزينه الإيمان

عن رجاء بن حيوة قال: يقال ما أحسن الإسلام يزينه الإيمان وما أحسن الإيمان يزينه التقى وما أحسن التقى يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه الحلم وما أحسن الحلم يزينه الرفق.

قال رجاء بن حيوة: إذا تزوج العبد صرخ إبليس صرخة يجمع إليه جنوده، فيقولون: ما بك يا سيدنا؟ فيقول: عصم اليوم ابن آدم من فخ كنت أصيده به [1].

* * *

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 / 438، 469.